مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار 1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 07/ العدد: 03 جوان (2021) - ص 480- 492

نمط شخصية البطل في رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي

The style of the protagonist in the novel "the black fits you" for Ahlem Mostaghanemi

روابحي محمد أمين [1] تاج محمد [2]
[1]rouabamine88@gmail.com [2]alsharmhmdamyn@gmail.com
جامعة عبد الرحمن بن خلدون/ الجزائر

تاريخ الاستلام: 2020/06/24 تاريخ القبول: 2020/09/19 تاريخ النشر: 2021/06/05

ملخص البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحليل رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي ، معتمدين في ذلك على المنهج النفسي ، وما جاء به سيغموند فرويد ، ومن جاؤوا بعده ، وإنّ أول ما أثار فضولنا شخصية البطل طلال هاشم ، التي استطاعت الأديبة أن ترسمه بأدواتها الفنية المتميزة بلاغة وأسلوبا ، لأنّ ميدان علم النفس يهتم بالشخصية واضطراباتها ، كان علينا التركيز على شخصية البطل سيكولوجيا ، ومنه نطرح الإشكال الآتي : ما مدى تطابق سمات الشخصية المتعارف عليها في علم النفس مع بطل الرواية؟

الكلمات المفتاحية : اضطراب الشخصية ، رواية ، تحليل نفسي ، أحلام مستغانمي ، سيغموند فرويد

ABSTRACT:

This study seeks to analyze the novel 'the black fits you'of Ahlam Mosteghanemi,relying on the psychological method,what Sigmund Freud and those who came after him.The first thing that attracted our curiosity is the character of the hero Talal Hashem,whom the writer was able to show with her distinct artistic way eloquently and in style.Because the field of psychology is concerned with the personality and its disturbances,we were obliged to focus on the personality of the hero psychologically,and from it we raise the following problematic: To what extent do the character traits recognized in psychology match with the protagonist?

Key words: personality disorder, novel, psychoanalysis, Ahlem Mostaghanemi, Sigmund Freud.

[1] المؤلف المرسل : روابحي محمد أمين

1. مقدمة:

استطاعت أحلام مستغانمي أن تستقطب جمهورا واسعا من القراء، ولعلّ رواية الأسود يليق بك كانت من أبرز الأعمال الأدبية التي أنتجتها الروائية، وهذا ما دفعني إلى تحليلها من المنظور السيكولوجي؛ لأنّ المنهج النفسي هو الأنسب لمثل هذه المواضيع، وهو ما كان لنا حافزا نحو تسليط الضوء على شخصية البطل"طلال هاشم" باعتباره الشخصية المحورية للرواية، واعتمدنا في ذلك على ما قدمه "سيغموند فرويد"، من خلال التركيز على بنية الشخصية بين السواء والاضطراب، وما من شك أن بنية الشخصية الروائية في الأسود يليق بك، لها حديث ذو شجون ونقاش نقدي واسع لا يزال إلى يومنا هذا قائما بفعل تعدد القراءات حسب المناهج النقدية المتعارف عليها سياقيا ونسقيا [1]، ومنه نطرح الإشكال الآتي :

ما مدى تطابق سمات الشخصية المتعارف عليها في علم النفس مع بطل الرواية ؟

يعرّف مورتن برنس"Morton Prince" الشخصيّة في كتابه "اللاشعور":" الشخصيّة هي الاستعدادات والنزعات والميول والغرائز والقوى البيولوجية الفطرية والموروثة وهي كذلك كل الاستعدادات المكتسبة من الخبرة"[2]

يوضّح د.نعيم الرفاعي في كتاب "الصّحة النفسيّة ملامح اضطراب الشخصية حيث يقول:

"ليست مجرد توتر يصيب الشخصية لحظة من الزمن، ولا هي مجرّد ثورة غضب جامحة تسيطر عليه، وإنّما هي نوع من الأذى يصيب صحّته النفسيّة يبدو على شكل تكيّف غير سوي أخذ منه مأخذاً يشبه العادة في تكراره واستمراره."[3]

هذه الاضطرابات، قد تشكّل من منظور الأدب الروائي لقطة فنية تستحق تسليط الضوء عليها، فيذهب الكاتب المحترف إلى تصوير الشخصية الروائية، وسط أحداث تصدر عنها أو تقع عليها، رابطاً بذلك سببية الأحداث أو نتائجها بثلاثة كيانات للشخصية، وهي كل من الكيان الفيزيولوجي، السوسيولوجي، السيكولوجي .

صوّرت الكاتبة "أحلام مستغانمي" في روايتها "الأسود يليق بك"شخصية بطل الرواية" طلال هاشم"بأبعادها الثلاثية التي ستتحدد معالمها في طيات هذا البحث.

1. الشخصية البارانويدية واضطراباتها :

انطلاقا من الرواية سنحيط علما باضطرابات الشخصية البارانويدية[4] عند بطلنا من خلال مواقفه وردات فعله وكذا ما أتى به لسانه .

يرى "سيغموند فرويد" أن الشخصية الزورانية[5] لها شكوك دائمة نحو الآخرين دون أي سابق إنذار، تشك فقط من أجل الشكّ، ولعلّ ما يفعّل هذه الشخصية هو استخدامها للميكانيزمات الدفاعية التي تشكّل أهمية بالغة في فكر فرويد وقد أعطت لنظريته في التحليل النفسي دعامة أكثر.

تعتبر هذه الأساليب كأسلحة نفسية أو مضادات تقوم على إحداث التوازن النفسي وينبغي الإشارة إلى أنّ هذه الحيل موجودة عند سائر الناس ولها أنواع كثيرة منها التسامي التقمص، النكوص، والإسقاط الذي هو ما يميز الشخصية الشكّاكة إذ يعدّ من العمليات العقلية اللاشعورية "والتي تعني ميل الفرد لاشعوريا لإسقاط عواطفه وانفعالاته وحاجاته على الآخرين وكذلك سماته واتجاهاته أو عملياته الذاتية نحو الآخرين ومن ذلك اعتقاد الطفل الصغير أنّ الكبار الراشدين يشعرون كما يشعر هو، وكذلك ميل الفرد لأن ينسب أخطاءه إلى الغير كنوع من الدفاع عن نفسه ضد الشعور بالذنب أو اللوم "[6]

وللإسقاط نماذج مختلفة كوصف الناس واتهامهم باللامبالاة أو الغش أو الأنانية أو البخل، والارتباك أمام الناس قد يكون هو الآخر إسقاطا، نظرا لعدم ثقة الفرد بنفسه.

تمكن علم النفس الحديث من أن يخطو خطوات واسعة المدى بعد " فرويد "، نحو تحديد سمات هذه الشخصية حسب منظمة الصحة العالمية (OMC) وهي كالآتي :

يتميز الشخص الزوراني بمجموعة من الأعراض"فهو ذو حساسية مفرطة للعقبات والصد والرفض، يحمل الضغينة في داخله ولا يسامح عند الإهانة، كما أنه على استعداد للقتال والعناد والشك في الآخرين إلى درجة عدائهم، نزعة مبالغ فيها بأهمية الذات واستفهامات لا مبرر لها بخصوص إخلاص الآخرين" [7]

من خلال الأعراض المقدّمة، وانطلاقا من قراءتنا للرواية سنضع مقارنة بين أعراض الشخصية الاضطهادية والأعراض الموجودة في شخصية البطل"طلال هاشم"، فقد تبيّن لنا أنه لا توجد خطوط فاصلة بينهما، فهناك تطابق تام وهذا على ضوء ما رصدناه في الرواية عبر ما يلي :

2.1 الشكوك المستمرة :

استُهلّت الرواية بوصفٍ أوّلي للبطل حيث صوّرت الأديبة بخيالها الجميل، رجل الغموض والسرّية، بتشبيهٍ تام الأركان حيث يعرّفه أهل البلاغة : "التشبيه بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة"[8]

استخدمت أداة التشبيه الكاف، مشبهةً البطل ببيانو، مظهرةً وجه الشبه الانغلاق على سرّ:" كبيانو أنيق مغلق على موسيقاه، منغلق هو على سرّه"[9]

في عُرفِ طلال هاشم، تحمل الحوادث البريئة تأويلاتٍ أُخرى، فابتسامة عشيقته هالة الوافي لمعجبها تضمرُ الخيانة، إذ في تأويله الخيانة سهلة الممارسة، إنّها تحتاج فقط للحظة سعادةٍ تشعرُ بها المرأة، لحظة انشراح تصهرها برجلٍ آخر في الواقع، إنّه يُعزي ما بداخله من أفكار إلى الآخر، فهو خائن لزوجته ويبرّر الخيانة بأنّها انصهار كائنين لحظة انشراح، لذلك يُسقط هذه الشكوك على عشيقته. "في عرفه، يمكن لضحكة أن تكون فعل خيانة، إنّها انصهار كائنين لحظة انشراح."

يكشف المونولوج عن ما يجول في خاطر البطل من شك وحيرة لينتهي بعبارة:

"لِم كلّ هذا الأسى وهو ما توقّع يوماً من النساء الوفاء"[10]

يشكل كلٌّ من المونولوج والحوار الوارد في الرواية إحدى ركائز الدراسة، إذ يُستدلُ من خلالهما على حقيقة البواعثِ النفسيةِ والعقلية والشعورية التي تحكّمت في تحديد مواقف البطل داخل الحدث، فمثلا، تكشف زلّات لسان طلال هاشم في حالة الثمالة عن عقده النفسية بقوله:

"لأنني لا أثقُ في النساء، لا أمي انتظرت أبي... ولا تلك الفتاة التي أحببتها انتظرتني يوم سافرت إلى البرازيل."[11]

عمدت الكاتبة إلى الاستعانة بمخزونها الثقافي عبر تشبيه تجربة طلال هاشم بتجربة بطل "ألف ليلة وليلة"المدعو "شهريار" الذي مرّ بتجربة خيانة امرأة أحبّها، فما كان منه إلّا مقاصصة جميع النساء على جريمة خيانة لم يقترفنّها:

"طوال عمره، سيشكّ في صدق النساء، وسيتخلّى عنهنّ خشية أن يتخلّين عنه كشهريار، سيقاصصهنّ عن جريمة لا علم لهنّ بها."[12]، نلاحظ حشد الكاتبة لمفردات حقل معجمي سلبي الدلالة: يشكّ، يتخلّى، يقاصص، جريمة. يساوره الشك حول أماكن تواجدها، ماذا لو كانت في أماكن تمارس بها فعل الخيانة؟ يريد أن يطمئن إلى أماكن تواجدها فيقوم بإهدائها هاتفاً محمولاً قائلاً بشيء من المراوغة: "أحتاج أن أسمعك أينما تكونين "وتردف الكاتبة عقب السيناريو تعليق بين مزدوجين بغرض الكشف عن خفايا أفكاره: (كان عليها أن تفهم:أريد أن أعرف دائماً أين تكونين.)[13]

- شكوك طلال هاشم الزورانية المتواصلة تدفعه أن يكون رجل الامتحانات الشيطانية: "قرّر أن يضعها أمام امتحانٍ شيطاني قبل أن يسلّمها قلبه ذلك أنّه كان دائم الشكِّ في كلِّ مَن يدخلُ حياته المهنية أو العاطفية."[14]

- يفضّل أن يحتفظ بأمر أفكاره الزورانية لنفسه، لا يستبيحها لأحد أما شكوكه فيمكن القول أنّه حبيس فكرة بأنّه غير جدير بالحبّ من أجل الحبّ فقط، بل من أجل المال الذي يقتنيه، ولن يستطيع أن يعرفَ حقيقةَ مشاعرِ مَن حوله إلّا باختفاءِ عنصر المال الذي يشكلّ الجدار العازل بينه وبين الثقة بالآخر، تروي الكاتبة بأناقة التعبير:

"لم يَبِحْ لها بأنّه لا يثق بأحد سلطة المال، كما سلطة الحكم، لا تعرف الأمان العاطفي. يحتاج صاحبها أن يُفلس ليختبرَ قلوب مَن حوله أن تنقلبَ عليه الأيّام، ليستقيمَ حكمه على الناس"[15]

3.1 الغيرة والحقد الدفين :

عبّرت الكاتبة عن إصابة طلال هاشم بأعراض الغيرة:"بدأت التفاصيل المنقولة في الصحافة عن ظاهرة هالة الوافي واجتياحها لقلوب الناس أينما حلّت، تزعجه بعض الشيء لعلّه بدأ يتنفس أوكسيد كربون الغيرة"[16]، اللافت استخدام الكاتبة للمصطلح العلمي "أوكسيد كربون" الذي يرمز إلى الغاز السام الناجم عن عملية احتراق، وعليه فإنّ الكاتبة ترمي إلى تسمّم نفس الشخصيّة بالغيرة المرضية السامّة.

كما يعاني طلال هاشم من الحساسية المفرطة تجاه الرفض كرفض هالة الوافي-عشيقته- أخذ المال منه قائلةً "لا أحتاج إلى مال" فبدا له أنّها قالت"لا أحتاج إلى مالك"[17]

"قاصصها بالصمت، كباقة التوليب الصامتة التي وصلتها منه دون أيّة كلمة باقة صامتة كصاحبها، الذي أغلق هاتفه وما ترك لها من وسيلة لتقول له شيئاً هل أكثر عنفاً من الصمت العاطفي؟"[18] كما ورد على لسان طلال هاشم مزحة في حواره مع هالة الوافي، حيث يمكن اعتبارها عنصراً مساعداً في كشف نوايا طلال هاشم الانتقامية ، تروي الكاتبة:

ردّت بصوتٍ أفقدته المفاجأة نبرته:

- عليك اللعنة .. كنت ستقتلني!

ردّ ضاحكاً:

- ليس اليوم.[19]

نستطيع تأويل مزحة "ليس اليوم" بـ"لن أقتلك اليوم، سأقتلك في يوم آخر"، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار مصير العلاقة التي تجمع طلال هاشم بهالة الوافي في ختام الرواية:

" كان كَمَنْ يصدم أحداً بسيارته، ولا يتوقّف لإسعافه، ثم يواصل طريقه لحضور حفل موسيقيّ دون شعور بالذنب"[20]

" رجل عبرها كقطارٍ سريع، دهس أحلامها وواصل طريقه بسرعة الطائرات"[21]

4.1 الكلام المنطقي والجِدية في العمل :

في أول وصف لشخصية البطل في معرض حديث الكاتبة عن إدمانه للتدخين وتغلّبه عليه تقول:"الإرادة هي صفته الأولى بإمكانه أن يأخذ قراراً ضدّ رغباته، وأن يلتزم به كما لو كان قانوناً صادراً في حقّه، لا مجال لمخالفته"[22]

في مونولوج للبطلة هالة الوافي، عشيقة طلال هاشم تعجب من غموضه ثم تقول:

"لكنّه يبدو رصيناً وصارماً في قراراته "

تصف الكاتبة جديّة طلال هاشم:"امتلك الحكمة والنزق في التعامل مع الحياة. الانضباط سرّ نجاحه"[23]

يظهر البطل بصورة رجل الحكمة والفلسفة التأملية في الوجود، كيف لا والكلّ كان في بيروت السبعينيّات فيلسوفاً على طريقته:

"كلّ ما يأتي على عجل يمضي سريعاً، وكلّ ما نكتسبه بسرعة نخسره بسهولة وهو بلغ من الحكمة عمراً، أصبحت فيه متعة الطريق تفوق متع الوصول، وانتظار الأشياء أكثر شهوة من زهو امتلاكها "[24]

5.1 المكانة الاجتماعية وأهمية المنصب :

يُبدي طلال هاشم اهتماما بالغاً بالمكاسب المادّية والاجتماعية، وعليه فإنه في سعي دؤوب نحو ازدهار أعماله وسطوة اسمه والحفاظ على صورة اجتماعية لائقة باسمه متجنباً كلّ ما قد يخدش سمعته كرجل أعمال لامع ذو أخلاق حميدة.

الاجتهاد في العمل والتأهب"هو دائماً على أهبة مشروع "[25]

الطموح بصنع قدر كبير أي حياة عملية ناجحة "كان مولعاً بالأقدار الكبيرة "[26]

طموحاته في النجاح في العمل ليست قيد الحلم بل حقّق نجاحات عملاقة تقول الكاتبة: "نجاحاته الخارقة في كبرى عواصم العالم"[27]

أما منبع حماسه للعمل هو موقف التحدّي الكبير الذي وُضع به عند رفضِ عائلة زوجته الزواج منها لانتمائها إلى الطبقة الأرستقراطية والبرجوازية وانتمائه إلى طبقة العاملين في المهن الحرّة: "قرّر أن يصنع له اسماً تباهي به أهلها ربح التحدّي حين بعد أربع سنوات من زواجه بها، نزلت عليها ثروات ما توقّعها"[28]

"حقّق في سنتين، ما أجلسه على إمبراطوريّة تجاريّة، أصبحت تشمل سلسلة المطاعم، وتجارة البنّ، والعقارات التي راح يستثمر فيها أمواله"[29]

أما اجتماعيا هو رجل الواجهة الاجتماعية يهتم بالمظهر الحسن، مرتدياً ما يضفي إليه من الرونق والأناقة، كما عمد في ظهوره الأول أمام ناظري هالة الوافي، على أن يكون محاطاً بمرافقين قصد الدلالة على أبّهة ورفاهية عالية للطبقة الأرستقراطية:

"رجل أنيق المظهر يدخل القاعة من البوابة الرئيسية في أبّهة واضحة محاطاً بمرافقيه"[30]

يؤمن أنّ ما من علاقة نسائية تستحق المغامرة بلقاء معها في بيروت حيث تنتشر بسرعة أخبار

العلاقات العاطفية التي ينتج عنها تهديد اسمه، وإن فعل فهو يكون قد احتاط:"لا علاقة نسائية تستحقّ أن يخسر من أجلها مكاسبه الاجتماعية وهذه إحدى المرّات النادرة التي سيلتقي بامرأة في بيروت للجنون عادة عناوين مدن أخرى وهو احتاط لكلّ الاحتمالات "[31]

تحمل العبارة دلالة النظرة الاستخفافية للمرأة بحيث أنها غير جديرة بالتضحية والمغامرة. يُخيّل إلينا بعد معالجة هذه النقطة، أنّ رواية " الأسْود يليق بك" جاءت بأنموذجٍ روائيٍ سيكولوجيٍ يتخطّى متعته الحكائية، ليقدّم إلى علم النفس أنموذجاً للشخصية الزورانية على نحو ما استفاد علم النفس من الأساطير اليونانية كأُسطورة نرجس وإلكترا[32] وأوديب، واستخلاص عقد السادية[33] والمازوشية[34] ومسرحيات شكسبير التي ناقشت الاضطرابات النفسية المختلفة.

2. الشخصية النرجسية واضطراباتها :

الشخصية النرجسية في مفهومها"هي الإحساس بالعظمة وبأهمية الذات أو بالتفرّد، والانشغال بأوهام النجاح غير المحدود، والحاجات الاستعراضية لجلب الاهتمام والإعجاب الدائم، وتُعرف بأنها طراز من الفرد الذي تستحوذ عليه النزعة النرجسية أو يرتجع إلى التعلق بالذات وجعلها موضع اهتمامه الجنسي" [35]

والنرجسية في مفهومها تحمل عدّة دلالات"قد تدل أول الأمر على انحراف، ثم على مرحلة ليبيدية، فعلى حالة نكوصية(نوم، مرض عضوي، ذهان)"[36]

وارتبطت النرجسية بمذهب فرويد ارتباطا وثيقا بعباءة حبّ الذات، أي اتجاه الليبيدو[37] نحو الذات واتخاذها موضوعا للعشق، وهذا ما جعله يضعنا أمام النرجسية الأولية المطلقة "حيث يبدأ الأنا في شحن تصورات الموضوع بالليبيدو، وهكذا يتحول الليبيدو النرجسي إلى الليبيدو الموضوعي"[38]

ويبقى الأنا مستودعا ترسل منه الشحنات الليبيدية إلى الموضوعات، كما ترتد إليه ثانية فهي على حدّ تشبيه فرويد"مثلها في ذلك مثل النتوءات الوقتية[39] في جسم من البروتوبلازم"[40]

معنى ذلك إن الليبيدو ككائن حيّ له أطراف تارة يرسلها إلى الموضوعات الخارجية ومرّة أخرى يردها إلى نفسه.

ويراد بالنرجسية الأولية المطلقة على حدّ قول فرويد :"بأنّ ليبيدو الطفل (أي طاقته الجنسية) يكون متعلقا في أول الأمر بذات الطفل نفسه، وأنّ جميع اللذّات التي يشعر بها الطفل إنما تصدر في أول الأمر عن بدنه الخاص"[41]

هكذا تكون بداية النرجسية مع الطفل نحو ذاته وحين يتمكن من التمييز بينه وبين غيره يتغير اتجاه الليبيدو نحو الأشخاص الآخرين.

استطاع علم النفس الحديث، أن يعطيَ إضافات في الشخصية النرجسية نحو تحديد سماتها التي منها "التكبر في التعامل مع الآخرين، وعدم الرضا بقيادة الآخرين له، وحب الشهرة والظهور على حساب الآخرين، وصاحب هذه الشخصية في أغلب الأحيان له قدرات ومواهب تفوق الشخصية السوية، أما من حيث المظهر فتميل إلى استخدام مبالغ في العطور أو المكياج والحلي وإلى جانب ذلك التفاخر والثرثرة والسلوك المستبد وحب الانتقام، عنيد في رأيه ولا يتساهل مع الآخر"[42]

مقارنة بما تقدم ذكره من أعراض الشخصية النرجسية تكاد تنطبق وتتوافق جذريا مع شخصية بطلنا "طلال هاشم" الذي نجده من خلال قراءتنا للرواية متعلقا بذاته، مفتونا بجبروته، وكأنه عود يصعب كسره أو لحم يسهل عظّه، ولنا في ذلك مجموعة من البراهين التي تثبت صحة أقوالنا عبر ما يلي :

1.2 سمات الغرور:

هناك ما يدل على تضخم الأنا عند طلال هاشم، وهو الذي تتسم به الشخصية النرجسية، حيث يبرز إيمان البطل بالصدارة والتفضيلية التي جاءت في قاموس كامبردج[43]

استبعدت الكاتبة صفة التواضع عن طلال هاشم في بداية الرواية باستباق التميز متواضعاً بلفظتي لحظات نادرة :

"قد يبدو في لحظات نادرة متواضعاً"، لتظهر في نهاية الرواية حقيقته :

"بدا لها لأول مرة ذا نرجسية طاغية، مزهواً كطاووس، ثملاً بثرائه"

ربطت صورة الرجل النرجسي الذي يملك مباهج الحياة المادية بالطاووس المزهو بألوان الحياة، كما وجعلت للثراء مفعولا كحوليا يفقد المرء صوابه، والأمر اللافت من الناحية الأدبية وردود لفظ "ثملاً"في سياق جديد، بحيث تخطّى استخدامه البديهي الدال على الثمالة جراء شرب الخمرة، أو تعبير أديب ما عن حالة حبّ عميقة شبيهة بالثمالة، أمّا مع مستغانمي فالثمالة تتخذ حجّة أخرى وهي: الثراء الفاحش.

وقد نجد رمزية أخرى لإدمان الخمر ومدى تأثيره كعملية استرخاء تامة يفقد فيها العقل الواعي سيطرته ليفسح المجال لمكبوتات النفس في التصاعد مانحا للاوعي فرصة التحدث عن نفسه .

يتحدث باطن طلال هاشم معلنا عن رغبته في إنجاب صبي وهنا تنكشف إيديولوجية فخر إنجاب مولود ذكر، وهي إيديولوجية الرجل الشرقي، فتتبلور نظرية يونغ[44] حول اللاوعي الجمعي أي الفكر المتوارث[45]

وتظهر نرجسية شخصية بطلنا في الرواية حين يتقمص دور الألوهية، الذي هو عبارة عن رمزية لها في الحقل النفسي أن تقول كلمتها وهذا ما سنراه .

اشترى طلال هاشم صوت هالة الوافي بحجزه قاعة حفل ستحييه متصوّراً نفسه إلهاً ويكون على هالة الوافي تقمّص دور العبد الذي يسعى لإرضاء الإله.

"إنّ من يحجز قاعة بأكملها ليستمع وحده إلى حفل يخال نفسه إلهاً "

انطلاقاً من مبدأ تقمص دور الآلهة الذي يجعل منه إلهاً مطلقاً لا يُسأل عن شيء، نجد طلال هاشم محافظاً على المسافة الشاسعة بين الإله والعبد: يُخطئ العبد، يعاقبه الإله دون محاورة العبد وتقديم الشروح والعتاب.

هو لا يشرح ولا يعاتب مثله يعاقب، وعليها الاستعانة بفقهاء الشأن العاطفي ليفسّروا لها لماذا نزل عليها غضب الآلهة.

يميل طلال هاشم إلى تحطيم ثقة الآخر بنفسه، الأمر الذي يزيد من زهوه:

"استعمل معها اللامبالاة، إنّه سلاح يفتك دائماً بغرور المرأة، محوّلاً نحوها أسئلة الشكّ... استعاد عافيته وزهوه وهو يضع السمّاعة"[46]

2.2 الانتهازية وكثرة العلاقات الغرامية :

لعلّ من صفات"طلال هاشم" الانتهازية، وهي"ميل إلى استغلال الآخرين، و هي سمة من سمات النرجسية تتمثل في الميل نحو استغلال الآخرين إذ تقول الكاتبة:

"كانت نجاحاتها تسعده يضعها في ميزان زهوه ووجاهته فما كان ليرضى بها لو كانت امرأة فاشلة أو عادية "

مصادقة أصدقاء من ذوي الطبقة المرفهة التي ترتاد أفخم المنتجعات:

"ربّما يعنيك إذاً خبر منتجع جديد لمدمني الشوكولا ...حدّثتني عنه صديقة أمضت فيه عدّة أيام"[47]

أمّا كثرة العلاقات الغرامية التي يتميز بها طلال هاشم، كما يؤكد علماء النفس أن الدافع إلى تعدد العلاقات هو "النرجسية"، فالنرجسي يحب ذاته وإن ما يعبر عن نرجسيته هو علاقاته الغرامية"بمكر رجولة طاعنة في ترويض النساء" [48] "ما كان مولعاً بصيد النساء، إنّما برشف رحيق الحياة، وبذلك الفضول الجارف الذي يسبق الحبّ" "اعتاد في كلّ علاقة مع امرأة أن يبقي مسافة للغموض"[49]

3.2 مثالية الخيال :

يتميز طلال هاشم بروح التفوق والتميز سواء في الشأن العاطفي أو الجانب المهني وهذا يبدو جليا من خلال الرواية مثلا في الابتكار:مطعم أقدامه في البحر، وجدرانه أكواريوم تسبح فيها أسماك بلوحات أصرّ أن يستحدث في حديقته هضبة صخريّة ينزل منها شلال اصطناعي يعبر تحت جسر خشبيّ.[50]

وإلى جانب خيال النجاح اللامحدود في شخصيتنا البطلة، هناك الحب المثالي الذي يتغنى به طلال هشام فقد"وهبها من كنوز الذكريات، ما لم تعشه الأميرات، ولا ملايين النساء اللائي جئن العالم وسيغادرنه من دون أن يختبرن ما بقدرة رجل عاشق أن يفعل"[51] يتحدّى طلال هاشم عشاق العالم وإن كانوا ملوكاً، بفعل ما بمقدرته فعله لمفاجأة المرأة، وقد استخدمت الكاتبة تسمية الأميرات لرفع سقف التحدّي، وتعداد ملايين النساء لرفع سقف الاستحالة! أمّا التضاد في فعلَي"جئن" و"سيغادرنه" فتفيد الخسارة واللاجدوى من تجارب حبّ لا يكون هو الطرف الآخر فيها.

4.2 سلبية المشاعر:

تستهل الرواية بالنتيجة الأخيرة التي تفضي إليها أحداث الرواية: وهي فراق طلال هاشم وهالة الوافي، تصف حالة طلال هاشم الكئيبة وهو يغرق في التفكير بها:

"أخذ غليونه من على الطاولة وأشعله بتكاسل الأسى"[52]

وفي نهاية الرواية تصف الكاتبة حقيقة طلال هاشم مستهلةً الوصف بـ "إنَّ" التي هي تفيد على حدّ قول النحويين : تفيد التأكيد "[53]

"إنّه المهرّج الذي يخلو بنفسه ليحزن، والساحر الذي يعود خاسراً بعد كلِّ استعراض"[54]، يظهر التناقض بين ما يظهره طلال هاشم (دور المهرّج في الضحك وإضحاك الناس)، لكن حين يخلو بنفسه يدرك كم هو حزين، وأدواره كساحر وإن نجح في أداءها، يعود بعد الاستعراض بشعور محبط، إنّها الكآبة المتربّصة في نفسه، وإلى جانب ذلك عقدة النقص[55] التي يعاني منها بطلنا وجاءت رمزية في عدّة مواقف تحت عباءة الحسد كمركب تعويض للثقافة التي كانت تنقصه، كيف لا وهو رجل يسعى إلى التفوق والكمال دائما.

الخاتمـــة :

رواية "الأسود يليق بك" تمثل نرجس القرن الواحد وعشرين، إنّها النرجسية الموسّعة التي تتخطى أسطورة المرء الذي يعجب بجماله، لترمز إلى حب من نوع آخر، كذكائه أو ثراء جيبه أو صيده للنساء، وقد عزمت الكاتبة على تصوير سمات هذه الشخصية تصويرا دقيقاً على نحو ما ناقشناه في النقاط السالفة من حيث ما يلي :

- تمثيل طلال هاشم لشخصية مصابة بجنون العظمة، متّصفة بالخيانة والانتهازية وأحلام النجاحات المثالية والشعور بالحزن المتربّص في النفس.

- تمثيل الشخصية البارنويدية عند بطلنا في الرواية الذي كان يعاني شكوكا دائمة لكل من يدخل في حياته المهنية أو العاطفية تصل إلى درجة وسواسية.

وبهذا نكون قد رصدنا صورة الشخصية لدى هشام طلال، بما يتوافق مع أدبيات التحليل النفسي كأداة إجرائية فاعلة في سبر أغوار النص، ولعلّ هذا يحسب للكاتبة الفذّة "أحلام مستغانمي"حين ألبست نصها الروائي هذه الحلّة الفنية الراقية .

الهوامش :

[1] تعددت القراءات بفعل المناهج النقدية بنوعيها السياقي والنسقي كأدوات فاعلة في سبر أغوار النص ولعلّ رواية الأسود يليق بك كانت من بين الأعمال التي أقيمت عليها دراسات نقدية نذكر منها على سبيل المثال : مذكرة تخرج لشهادة الماستار بعنوان البنية السردية في رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي من إعداد الطالبتين حورية تومي ، حورية نقلي، تحت إشراف الدكتور صلاح الدين ملفوف، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة ، السنة الجامعية 2015/2014، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستار بعنوان سيميائية الشخصية في رواية الأسود يليق بك لأحلام مستغانمي، من إعداد الطالبتين : زيان صباح ، غربي فائزة ، تحت إشراف بوعلي كحال ، جامعة أكلي محند أولحاج بويرة، السنة الجامعية 2015/2014.

[2] Prince, Morton. " the unconscious: the fundamentals of human, personality normal and abnormal", Kissinger publishing, America, Montana,2006, page 53

[3] نعيم، الرفاعي :"الصحة النفسيّة" دراسة في سيكولوجيّة التكيّف، جامعة دمشق، ط5، 1981، ص258

[4] الشخصية البارنويدية حسب منظمة الصحة العالمية OMC " إن ثقة صاحب هذه الشخصية بالناس محدودة ، وهو يميل للتشكك بدرجة أكثر من العادي في نواياهم ، ثقته بنفسه تبدو عالية وتعمل طموحا كبيرا مع أنه داخليا لا يتقبل عيوبه "

[5] الشخصية الزوارنية هي نفسها الشخصية البارانويدية.

[6] المرجع السابق، ص 71

[7] شاكر مجيد، سوسن، اضطرابات الشخصية-أنماطها، قياسها، دار الصفاء للنشر والتوزيع ، عمان، ط 2 2015، ص122.

[8] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، البيان والمعاني والبديع، د.ط، دار المعارف، لندن، ص20.

[9] أحلام، مستغانمي :"الأسود يليق بك"، هاشيت أنطوان، بيروت، ط1، 201، ص 11

[10] الرواية، ص269

[11] الرواية، ص 270

[12] الرواية، ص 145

[13] الرواية، ص 212

[14] الرواية، ص 53

[15] الرواية، ص 12

[16] الرواية، ص 203

[17] الرواية، ص 284

[18]الرواية، ص 78

[19]الرواية، ص 212

[20]الرواية، ص 286

[21]الرواية، ص 302

[22]الرواية، ص 20

[23]الرواية، ص 210

[24]الرواية، ص 44

[25]الرواية، ص 45

[26]الرواية، ص 45

[27]الرواية، ص 45

[28]الرواية، ص 149

[29]الرواية، ص 150

[30]الرواية، ص 117

[31]الرواية، ص 137

[32]ولع الفتاة بحبّ أبيها.

[33]اشتقاق من فعل"ساد"، والاسم "سيّد"، والمعنى الرغبة في التحكم بالآخر وجعل العلاقة القائمة بين الأنا والآخر ما يشبه علاقة السيد بخادمه: أوامر وإطاعة.

[34]على عكس السادية، هي الرغبة في الإطاعة، بل أيضاً على الرغبة في تلقى التعذيب من الآخر.

[35] شاكر مجيد، سوسن، اضطرابات الشخصية، أنماطها، قياسها، ص 91

[36]بيلا، غرنبرغر، النرجسية:دراسة نفسية، ت، وجيه أسعد، د.ط، وزارة الثقافة

[37] الليبيدو: هو البحث عن الإشباع الجنسي .

دمشق، 2000، ص10.

[38]أنظر : سيغموند، فرويد، الموجز في التحليل النفسي، ترجمة، سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، مراجعة مصطفى زيور، دار المعارف، القاهرة، ط02، 1970، ص33.

[39]أي أقدام كاذبة أو نتوءات وقتية من جسم خلية كالأميبيا والبروتوبلازم هو المادة الأولية التي تتكون منها الأجسام الحيّة ويريد فرويد هنا أن يشبّه الليبيدو بكائن حيّ له أطراف كالأميبيا مثلا ، يرسلها إلى الموضوعات الخارجية حينا ثمّ يردّها إلى نفسه حينا آخر.

[40]سيغموند، فرويد، معالم التحليل النفسي، ترجمة، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1983 ص53 وما بعدها.

[41]سيغموند، فرويد:الأنا والهو، ترجمة، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت، ط4، 1982، ص 18.

[42] شاكر مجيد، سوسن، اضطرابات الشخصية، ص 91 وما بعدها

[43] Matsumoto'D: THE CAMBRIDGE DICTIONARY OF PSYCHOLOGY.NEW YORK'CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS'2009'p 326 .

[44] كارل يونغ : هو أحد تلامذة سيغموند فرويد ومؤسس لعلم النفس التحليلي تقوم نظريته على اللاشعور الجمعي وهو مخزن لخبرة البشر العرقي وفيه توجد صور بدائية شائعة للبشر في منطقة أو تاريخ محدد.

[45] Baudouin, Charles:"**L'œuvre de Jung et la psychologie complexe"**, P.B.P. Paris, 1975, page 103-105

[46] الرواية، ص 51

[47] الرواية، ص 126

[48] الرواية، ص 51

[49] الرواية، ص 280

[50] الرواية، ص 146-147

[51] الرواية، ص 14

[52] الرواية، ص 12

[53] أحمد الخوص، قصّة الإعراب، الأسماء، دار الهدى، عين مليلة، ط3، 1986، ص85

[54] الرواية، ص326

[55] عقدة النقص أو الدونية هي شعور إنسان بالنقص أو العجز العضوي أو النفسي أو الاجتماعي بطريقة تؤثر على سلوكه ، ويعد ألفرد أدلر أحد تلامذة فرويد من أطلق هذا المصطلح .